## المحاضرة الثانية:

# إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 1 : الأسباب

يعدُّ موضـــوع التّغير الدّلالي من القضـــايا الدلالية التي تحتل الصـــدارة في علم الدّلالة التّاريخي، حيث كان اهتمام هذا الأخير ينحصـــر في التغيرات التي تطرأ على معنى المفردة، أي في تحديد التّغير الدّلالي وتصنيفه وتفسيره، فالكلمة قد تتطور دلالتها وتتغير من عصـر إلى عصـر، ولذلك سـنتطرق في هذه المحاضـرة إلى أسـباب التغير الدلالي

تجمع الدراســـات حول الدلالة في العصـــر الحديث على أن بدايات علم الدلالة كانت مع تتبع تغير دلالات الألفاظ، ولا ســـيما في مرحلة الرّواد، ومنهم: ميشـــال بريال وتابعيهم ومنهم: ماريو باي، على تتبع المراحل التّاريخية للتّغيرات التي تصـــيب معاني المفردات، وقد عرفت هذه المرحلة بعلم الدّلالة التّطوري أو التّاريخي، حيث شـــغل العلماء في هذه المرحلة بالأسـاس موضـوع تغير المعنى، وصـور هذا التّغير، وقد أجمعوا على أنّ لتغير المعنى أسباب عديدة يمكن حصرها في الأســـباب اللّغوية، والتّاريخية، والاجتماعية، والثّقافية، والنّفســـية، والعقلية، وقد توصلوا بعد الدّراسة إلى مجموعة من الطرق أو الأشكال

للتّغير الدّلالي، وهذه الأشـــكال جديرة بأن ترصـــد حركة الدّلالة في دورانها مع ألفاظ اللغة بمرور الزمن، أهمها: تخصـــيص أو تضـــييق الدّلالة، وتعميمها أو توسيعها، ورقيها أو انحطاطها، إلى غير ذلك.

**أولا: علم الدّلالة التّاريخي**

وهو منهج تاريخي للبحث في علم الدّلالة كان سائدًا بين عامي 1850–1930 تقريبًا، وكان اهتمامه الأساسي منصبًا على دراسة تغيّر الدلالة عبر الأزمان المختلفة؛ حيث إنّ مصـــطلح علم الدّلالة (sémantique)قـــد استعمل أولاً للإشارة إلى تطور المعنى وتغيُّره، والنتائج العملية لهذا النّوع من البحث تتخذ شـــكل تصـــنيفات متعددة لآليات التّغير الدّلالي، كالاستعارة، والكناية، والتّعميم والتّخصيص.

**ثانيا: مصطلح التّغير أو التطوّر الدّلالي**

تُعد دراســـة التّغير الدّلالي المحور الرئيس للدّرس الدّلالي الحديث، وبخاصـــة علم الدّلالة التّاريخي، فقد كان أهم ما شـــغل علماء اللّغة موضـــوع **تغيّر المعنى**، وصـــور هذا التّغير، وأســـباب حدوثه، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ وموتها؛ إذ يرون أنّ دلالة المفردات هي أكثر جوانب اللّغة عُرضـــة للتّغير، فظهور المفردة للمرة الأولى يكون لها معنى معين، ومع مرور الزمن يتغيّر هذا المعنى نسبيًا

أو كليًا، والمعروف لدى علماء اللغة أنّ الكلمة الواحدة تخضـــع في نشأتها وتطورها إلى عدّة عوامل، فقد يتوسع معناها أو يضيق أو يتغيّر تماما.

**ثالثا: أسباب التغير الدلالي**

تغيُّر المعنى ظاهرة شـــائعة في كلّ اللّغات يلمســـها كل دارس لمراحل نمو اللّغة وأطوارها التّاريخية " وهذه التّغيرات تحدث في اللّغة دائما، لأنّها نظام للتّواصل بين النّاس مرتبطة بأحوالهم وظروفهم الثقافية والاجتماعية والعقلية، وهذه الأحوال والظروف لا تســـير على وتيرة واحدة، فالأسباب هي الظروف المهيّئة للتّغير، بينما الطرق هي الوسائل والخطوط التي يسلكها التّغير ".

ومن أهم أسباب تطور الدلالة كما ذكرها بعض اللغويين:

1- **ظهور الحاجة إلى تسميات جديدة:**

من أهم العوامل التي تؤدي إلى تغير الدّلالة هو **الحاجة إلى تســـميات جديدة** تعّبر عن المعاني " وتظهر الحاجة حينما يملك المجتمع اللّغوي فكرة أو شـــيئا يريد التّكلم عنه مما يقتضـــي تمثيله بمفردات تتضـــمن مجموعة من الأصـــوات، وقد يكون هذا التّمثيل عن طريق الاقتراض من لغة إلى لغة أخرى، فحين يحدث ذلك فإنّ المعنى

غالبا ما يتغير بوجه من الوجوه، إمّا بتوسيعه أو تضييقه أو نقله كلّيا لغير ما وضع له اللّفظ في اللّغة المقترض منها "

وهذا النّوع من التّطور يتم عادة على " أيدي الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والأدباء، كما قد تقوم به المجامع اللغوية أو الهيئات العلمية حين تعوز الحاجة إليه والسبيل إليه هو ما يسمى بالمجاز أو الانتقال باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر جديد عليه، وحاجة الأديب إلى توضيح الدلالة أو تقوية أثرها في الذهن هي التي تحمله على الالتجاء إلى المجاز وعلى قدر إحسانه في تخير المجال الجديد للفظ تكون مهارته وجودة فنه ". وبالتّالي نفهم من هذا أنّ هؤلاء الموهوبين لهم دور بارز في توجيه دلالة الألفاظ.

**2- الأسباب الاجتماعية والثقافية:**

يعدّ العامل الاجتماعي والثقافي أحد أسباب تغير المعنى، حيث " تمرُّ المجتمعات بكثير من التّحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية، فتؤثر هذه التّحولات في طرق استعمالها للكلمات، وهو ما يؤدي غالبا إلى ظهور تغيرات دلالية واضحة تناسب السياق الثقافي والاجتماعي الجديد ". فاللغة وثيقة الصلة بالمجتمع " حيث إن كل تطور في حياة الأمة يترك أثرا قويا واضحا في لغتها ".

**3- الأسباب النّفسية:**

مما لا شك فيه أن الألفاظ لها أثر نفسي في الإنسان، ولولا ذاك لما قلنا: صوت دافئ، كلام حار، قفأ مرارتي، حرق قلبي، وهكذا كثيرا ما نصوغ عباراتنا محملة بانفعالاتنا، ومعبرة عن حالتنا النّفسية، وهذا يشكل ملمحا من ملامح التطور الدلالي يتصل بالأسباب النفسية ما يسمى ب (اللامساس أو التلطف في التعبير)، ويعني الابتعاد عن الكلمات ذات الإيحاءات المكروهة أو الحادة، واستبدالها بكلمات أكثر قبولا وحشمة، فالألفاظ المتصلة بالقذارة أو المرتبطة بالغريزة الجنسية تغلف بتوريات تخفف من الحرج فيها، ومكان قضاء الحاجة يسمونه الخلاء أو الحمام، والجماع يعبر عنه بالنكاح، والمتوفى يسمونه المرحوم، الراحل، والفقيد، وهكذا كان عند علمائنا القدامى من أصول الفصاحة والكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح.

**4- العامل اللغوي:**

قد يرجع تغير المعنى إلى أسباب لغوية " لأنّه قد يحدث في صلب اللغة فجوات معجمية لا تجد معها اللّفظ الذي يعبِّر عن الدّلالة الجديدة، فيلجأ اللّغويون إلى سدّها عن طريق الاقتراض اللّغوي أو الاشتقاق، وقد يتجه المجتمع اللغوي نحو المجاز، فيتم ابتداع دلالة جديدة أو يحصل تنقل الدّلالة من حقل دلالي إلى آخر". فالانتقال

المجازي يعد من أهم الأسباب اللغوية، حيث يقوم بابتداعه متخصصون كالأدباء والشعراء، لأنه يحدث بهدف" سد فجوة معجمية ... وقد يحدث بمرور الوقت أن يشيع الاستعمال المجازي فيصبح للفظ معنيان، وقد يشيع المعنى المجازي على حساب المعنى الحقيقي ويقضي عليه".

**5- الاستعمال:**

إن استعمال اللفظ في غير ما وضع له أحد الأسباب التي تؤدي إلى نقل الألفاظ من معناها إلى معنى آخر، فقد يسمع مثلا شخصا ما لفظا، ولكن يسيء فهمه أو ربما تكون دلالته غير واضحة فيستخدمه في معنى مغاير لا يمت إلى معناه الأصلي.